الفصل العاشــر:

قالوا عن السبيعي..

الفصل العاشر: قالو عن السبيعي..

السبيعي.. وجيرانه:

صاحب السمو الأمير سعد بن خالد بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود

بدأت علاقتي ومعرفتي بالشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي في أواخر التسعينيات الهجرية، وذلك عندما أصبحنا جيراناً في حي عليشة بالرياض.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم نشأت بيننا علاقة أخوية عميقة.

وجدت في شخصية أبي إبراهيم طوال العقود الأربعة الماضية الإخلاص والولاء والمحبة الصادقة للوطن ولأبناء الوطن ولولاة الأمر، إذ كان - وما زال- من رجال الأعمال المخلصين والمحبين والموالين لولاة الأمر في السر والعلانية، وهذه شهادة أقولها لله، لا أرجو بها شيئاً.

ولا أزال أذكر موقفاً حضرته في مزرعة الملك خالد - رحمه الله - في الثمامة، حيث كنا ذات يوم في مجلس الملك خالد - رحمه الله - في المزرعة، وقد حضر المجلس مجموعة من أصحاب السمو الملكي وأصحاب السمو الأمراء، فدخل السبيعي وسلّم على الملك خالد ثم الأمير فهد وكان ولياً للعهد آنذاك، فقال الملك خالد موجهاً كلامه للأمير فهد: ما رأيك في هذا الرجل (يقصد أبا

obeikandl.com

إبراهيم)؟ فرد عليه الأمير فهد قائلاً: إن لي موقفاً معه لا أنساه وهذا الموقف دليل على شهامته ومحبته لأهل هذا الوطن، وما زلت أتمنى أن يأتيني ويطلب مني شيئاً له لأرد له هذا الموقف، لكنه دائماً يأتي بطلب أو معاملة لغيره محتاجاً كان أو عاجزاً.

إن علاقة السيرة الحسنة التي جمعتني بالشيخ محمد وأمثاله من الإخوة الأفاضل في هذا الحي «مثل الشيخ علي بن داود والشيخ علي البرغش» هي من أسباب تمسكي بالإقامة في هذا الحي ورفضي الانتقال لأي حي آخر؛ لأنني أخشى ألا أجد جيراناً على نفس المستوى من الخلق والكرم وطيب المعشر.

وكان أبو إبراهيم - وما زال - من خيرة الجيران، وهو حريص على زيارة جيرانه والتواصل معهم بشكل دائم، ويقف دوماً معهم في مناسباتهم السعيدة والحزينة، ويقوم باستمرار بالاطمئنان على أحوالهم فرداً فرداً، ونجتمع دوماً نحن سكان الحي إما عند أبي إبراهيم أو عند الشيخ علي البرغش أو في بيتي، ويحضر هذه اللقاءات حشد كبير وفئات متعددة من سكان المنطقة.

واشتهر الشيخ محمد في الحي بمحافظته الدائمة على التبكير لأداء صلاة الجماعة في المسجد مهما كانت ظروفه الصحية. وأذكر بالمناسبة موقفاً طريفاً جمعني به بعد صلاة الفجر، في أحد الأيام، فقد كان من عادتي أن أمارس رياضة المشي بعد صلاة الفجر وفي ذلك اليوم رأيت الشيخ محمد السبيعي خارجاً من المسجد وقد وضع شماغه على كتفه وهو يردد بعض الأبيات الشعرية التراثية «يهيجن» فتمنيت أن يرى جيل اليوم كيف هي بساطته

بالرغم مما أنعم الله به عليه، وقلت له ممازحاً: يا بو إبراهيم أنت قبل شوي تستغفر وتسبّح وتهلّل والحين تهيجن ؟

فرد عليّ مداعباً: يا ابن الحلال ساعة لربك وساعة لقلبك.

ولقد حبا الله أبا إبراهيم بعائلة وأسرة كريمة وأنعم الله عليه بذرية طيبة صالحة، لهم في قلبي كل المعزة والتقدير. لما رأيت منهم من أفعال حميدة وأخلاق عالية وحسن معاملة واحترام للآخرين.

ومما أحب أن أقوله عن أبناء الشيخ محمد السبيعي أنهم تمكّنوا بتوفيق الله لهم من أن يكونوا شاكرين لأفضال الله عليهم، إذ لم تزدهم نعمة المال إلا تواضعاً وطيباً.

وأود في الختام أن أشكر أبنائي أبناء وبنات الشيخ محمد كافة على مبادرتهم الرائعة بإصدار هذا الكتاب عن والدهم، وهذا من وفائهم وحسن برهم بوالدهم، كما أشكرهم وأقدّر لهم ثقتهم فيَّ وحرصهم على أن أشارك معهم في هذا الكتاب، مع العلم بأنني لم أقل إلا نزراً يسيراً من فضائل أخي وجاري محمد بن إبراهيم السبيعي، أمده الله بالصحة والعافية.

سعد بن خالد بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود

شاعرية السبيعي:

معالي الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

كثير من الناس يعرف أن الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي رجل أعمال ومال ناجح، ومن البارزين في هذا المجال، ومن الذين لهم سيرة حسنة في صدق الأمانة، وطيب التعامل، والمسارعة في عمل البر، والمساهمة في أعمال الخير، ولكن قليلاً من الناس يعرف أنه عصامي بدأ حياته «صبياً» عند عمه بالأجر، في مكة المكرمة، يعمل في دكانه وقتاً، ويحمل «زفة» الماء على كتفه بعض النهار، وأن هذا العمل على ما فيه من مشقة وجهد، وقلة مردود، قد عدَّه الشيخ محمد خيراً مما مرّ به قبله، إلى أن بدأ في التجارة، فنما معها، ونمت معه، وعرف كل منهما الآخر، عرف مراميها، وعرف سير التجار، وخبر تعاملهم، دخل التجارة، وفي نيته أن يكون أميناً صادقاً، فوفَّقه الله سبحانه، لأن من ركب مطية النية الحسنة لا بد أن توصله إلى مقصده، وقد وصل أبو إبراهيم إلى ما خطَّط للوصول إليه، تاركاً وراءه صعوبات، متغلباً على ما اعترض طريقه من هزات ليست غريبة على مَن عمل في التجارة، خاصة في وقت حرب عالمية، هصرت العالم بأجمعه، ورمت بظلالها على بلادنا، ولكنه كان، مع أخيه، سبَّاحاً ماهراً، استطاع أن يصل الشاطئ بسلام، وأن يهيئ مفحصاً مريحاً في السوق التجارية السعودية.

يتوقع أن مثله يكون مشغول الذهن والجسم في أعماله التجارية، ولا يلتفت إلى رفاهة الفكر، وتسلية النفس، ولكن قد تكون هذه المشكلات التجارية،

obeikandl.com

والظروف الصعبة، هي التي وراء عثوره على متنفس وجد فيه الراحة عندما تضيق به السبل المادية.

ونعم المتنفس الشعر، ولعله وجد في كل قصيدة ينظمها ابناً أو بنتاً، يأنس بقراءة ما أنتجته قريحته، وما قاله سجل متقن مفصَّل لما كان عليه ذهنه في أوقات مختلفة، مما جعل أغراض شعره تتركَّز في عدد منها، سيطرت على شعره، وغلبت على ذهنه، فصارت طاغية على ما يقول، وهو لا ينفر من ذلك، بل يجد لذة في أن يعيد ويكرر بصور مختلفة أنواعاً من الشعور أصبحت لازمة من لوزام قصائده، عليها مسحة السعادة حتى وهو يتكلم عن أحلك المواقف. روحه المرحة تغلبه؛ وهذه نعمة من نعم الله تساعد المرء في تفادي الوقوع في قبضة الكآبة والحزن.

من الأمور التي شاعت في قصائده حبه المنقطع النظير لزوجه، أم أولاده، واعترافه بجميلها عليه مكرراً ذلك، وآتياً به في صور مختلفة، يشيد بوقوفها بجانبه في أوقات الشدة، ولهذا انطبعت صورتها الخيِّرة في عدسة عينه، فهو لا يرى غيرها جميلة، مهما كانت الأخرى مزوَّقة، ومصبغة، ممن يَشْدَهن غيره ممن يسافر إلى الخارج، ويتعرض للإغراء. يقول في هذا الاتجاه قولاً صادقاً لا تكلُّف فيه.

والغرض الثاني حبه لأخيه، واعتزازه به، وإشادته بالتعاون بينهما، ومن يعرفهما يجد لهما هذه اللحمة التي اتسمت بها روح الأشقاء في ذلك الزمن.

ومن الأغراض التي تتكرر في شعره حبه لأولاده، ورعايته لهم، وحرصه

على تعليمهم، ونصحه المتكرر لهم، وإعطاؤهم حصيلة تجارب عمره في الحياة، ومحاولة أن يكون ذلك في ذهنهم لا يغيب عنهم. وهو معهم في إقامته وسفره لا يغفل عنهم، وقد جاءت ثمرة هذه الرعاية، وحصيلة هذا الجهد، مرضية له، فهو يفاخر بهم، ويعتز بسيرهم في هذه الحياة، وتقر عينه عندما يراهم وأولادهم بسعادة وهناء، نتيجة استقامتهم، وحماية الله لهم من الأمراض الخُلقية المنتشرة بين الشباب في هذا الزمن.

وقد قبل الله جهده، ورعى عنايته، فأبعدهم الله عمّا كان يحذّرهم منه، وما كانت عينه يقظة في بعدهم عمّا يشين منه.

وقصائد أبي إبراهيم كل واحدة تحتاج إلى دراسة، ففيها ما يمكن أن يخرج به من حكم ومن حصيلة تجارب، ومنها ما يمكن أن يوصل إلى عمق فكره، وإلى ذهنه، وكيف يعمل، وكل منها له طابعه الذي لا يغيب عن ذهن القارئ المتمعن، ففكره له نهج لم يتخل عنه في أي قصيدة من قصائده، ومهما استطرد، وأبعد به الفكر تجده يعود إلى ما يسكّن فؤاده.

أما عن شعره فهو عفوي، توحيه الساعة، ويأتي به الظرف، يستثير شعوره أمر فيسكب صافي فكره فيه شعراً، ولهذا فقصائده سجل لما مرّ بذهنه من صور، وما دغدغ صدره من عواطف، صلته بأهله، صلته بحكامه، صلته بأقاربه، صلته بأصدقائه، شعوره في السفر، شعوره في الإقامة، شعوره وقت الشدة، شعوره وقت الرخاء.

ولا بد أنه حفظ في صغره، ومقتبل عمره، شعراً كثيراً أوجد عنده هذه

obeikandl.com

المَلكة، التي عاضدها شجاعة في قول الشعر، ساعده على أن يمهد له طريقه فيه، وزمنه كان زمن سمر وأشعار، وكان يروي في مجالس السمر قصائد فطاحل الشعراء النبطيين، وما حفظ في زمن الصغر له تأثيره العجيب، مع سهولة في الحفظ تعطي الملكة لمن عنده استعداد أن يقول الشعر، وصاحب الحظ في هذا المجال من يواظب ولا يتوانى. وقبل أن أرفع سن القلم أود أن أشيد بالمادة التاريخية التي جمعتها أم الوليد في هذا الكتاب، فهي على قصرها قد أحاطت بجوانب مهمة من حياة الشيخ السبيعي وأبرزت أهم محطات مسيرته الحافلة بالإنجاز.

و«السموحة» كلمة وردت عدة مرات في شعر السبيعي، فليسمح لي أن أستعيرها هنا وأقول للقارئ: «السموحة» إن كنت أطلت، فمَن أكتب عنه وعن شعره «عملاق».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

obeikandl.com

ستون عاماً من الصداقة!

سليمان بن عبدالعزيز الراجحي

إنني عندما أتحدث عن الأخوين محمد وعبدالله السبيعي أجد الذاكرة تعود بي إلى أكثر من خمسين عاماً، وهي مدة ليست قصيرة مرت علينا بما يكتنفها من كفاح ومشقة، وبما تحمله من مواقف نبيلة ورائعة عن الرعيل الأول وكيف كانوا يفصلون بين الأخوة والصداقة ويحسبون لها حسابها ومكانتها ، وبين العمل التجاري الذي تدخل فيه المنافسة الشريفة.. ذكريات جميلة بكل معانيها اشتملت على قيم ومبادئ غرست في نفوسنا وتعاملنا بها ولا نزال.

إن الشيخ محمد السبيعي هو بمثابة الأخ الأكبر لي، تعرَّفت عليه من خلال المعاملات التجارية في الصرافة وفي البيع والشراء وخلافه، ثم تعرَّفت عليه عن قرب في عام ١٣٦٧هـ، حيث كنت حاجاً وضيفاً عليهم في منزلهم العامر بالجو العائلي الإسلامي، ووجدت منهم الكرم والرجولة ودماثة الأخلاق، ثم أخذت اللقاءات تتوالى بيني وبينهم، وفي الوقت نفسه كنا نتنافس في الأعمال المصرفية، ولم يكن لنا محل في ذلك الوقت، وكانا يعملان في مكة المكرمة، واستمرت لقاءاتي معهم في المنزل والتي اتسمت بالحب والمودة والاحترام المتبادل لدرجة أنه لا أحد على الإطلاق يتبادر إلى ذهنه بأننا منافسون بعضنا لبعض بشكل أو بآخر.

وأرجو أن لا تخونني الذاكرة، ففي عام ١٣٧٢هـ بدأنا نحج معاً ثم قوي

obeikandl.com

الارتباط أكثر وأكثر مع استمرار حجنا معاً، فكنا نتفق مع أحد الطباخين لإحضار الطعام للحجاج، وكنا نقوم بخدمة الحجاج ضيوفنا، فضيوفهم ضيوفي وضيوفي ضيوفهم، ومع كل هذا الارتباط الديني والأخوي وما ربطتني بهم من صداقة قوية ومتينة، ظلت المعاملات التجارية مفصولة تماماً عن هذه اللقاءات والارتباطات. وفي عام ١٣٧٢هـ فتحوا مكتباً في مكة المكرمة، ثم بعد ذلك فتحوا محلاً في الخاسكية في جدة، وفي عام ١٣٧٦هـ، فتحت بحمد الله مكتباً في جدة.

لقد كان الشيخ محمد السبيعي - ولا يزال - بمثابة الأخ الأكبر أو الأب بأدبياته وأخلاقه وكرمه، وبالرغم من السنوات التي مرَّت منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا وما اشتملت عليه من الكثير من المواقف والذكريات الجميلة، أجد نفسي عاجزاً عن التعبير عما يجيش في صدري من شعور وتقدير تجاهه، ولن أجد مهما حاولت الكلمات المناسبة التي تعطي المعنى الذي يوفيه حقه. لقد كان يتعامل مع كثير من الإخوان مثل المقيرن والتخيفي ومحمد بن يوسف والقواضي.. وغيرهم من الناس، ولم أسمع من أي إنسان أن لديه ملحوظة على الشيخ السبيعي بشكل أو بآخر، كبيرة كانت أو صغيرة، في البيع والشراء والتعامل الإنساني والأخلاقي. وأذكر أيضاً أنهم كانوا شركاء مع الغنيم وكان يمثلهم في الرياض صالح وسليمان الغنيم ومع ذلك لم يكن هذا الأمر ليجعل هناك أي تناقض في تعاملهم ومعاملاتهم مع عملائهم الآخرين.

obeikandi.com

حقيقة هذا الحديث جعل الذكـريات والأحداث تمر أمام عيني وكأنها حدثت بالأمس.. كـانـت أيـامـاً جميلة أعادت إلى ذاكرتي الكثيـر مـن المعاني الرائعة.

سليمان بن عبدالعزيز الراجحي

obeikandl.com

أبوة السبيعي للجميع!

عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الخريف

عندما كان شاباً يافعاً هجر الأهل والأحباب، وشد الرحال إلى أقدس البقاع «بيت الله الحرام»؛ إيماناً منه بأن الله سبحانه وتعالى يظله بظله ويحميه من كل مكروه ويغدق عليه من نعمه.. إنه ذلك الشاب اليافع الطموح الذي سهر الليل وتعب النهار وراء لقمة العيش لا يهنأ له نوم.. يسعى طول النهار ويسهر الليل، إيمانه بالله القوي وحبه للخير منحاه الثقة في نفسه.. إنه:

الوالد الحبيب محمد البراهيم السبيعي

عرفته عن طريق صداقته لوالدي.. أراه وأنا في الجامعة ونذهب إلى داره.. علمت بعد تخرّجي أنه أبو إبراهيم.. تربطه بالوالد علاقة عمل بالإضافة إلى الصداقة، حيث استمرت هذه العلاقة إلى ما بعد وفاة الوالد - رحمه الله -.

لقد كان ولا يزال أباً لنا بعد وفاة والدنا.. رعانا رعاية أبنائه.. أشرف على مسيرتنا وتابع أعمالنا.. وأسدى لنا النصائح ولا يزال.

يتحسَّس أحوالنا ويسأل عن كل صغير وكبير.. إنه شعور الوالد.. إنه فعلاً بمثابة الوالد.. صفة من صفاته التي لا تتوافر إلا في الرجال العظماء حبه للخير.. حبه للضعفاء.. وللناس جميعاً، سعيه للحضور في كل محفل وفي كل مناسبة رغم ظروفه وأعماله.. إلا أنه يجد الوقت للقيام بالواجب وزيارة المرضى وأصدقائه.

إنه المثل الأعلى الذي يجب أن يُحتذى به، والشعار الذي يجب أن يُرفع. لقد

obeikandi.com

أوفى صديقاً للوالد وأوفى راعياً ووالداً لنا بعد وفاة الوالد.

أسأل الله أن يطيل في عمره، وأن يوفّق إخواني وأبنائي على البر به.

عبدالرحمن بن عبدالله بن إبراهيم الخريف

obeikandl.com

العم محمد بن إبراهيم السبيعي.. آيةٌ في الوفاء!

د. فؤاد بن سليمان بن عبدالله الغنيم

الوفاء كلمة ذات معنى عظيم من مكارم الأخلاق نقرأ عنها ونسمع بها، ولا تخفى على أحد، لكن القليل منا من يجدها واقعاً ملموساً في حياتنا، وعندما كنت أقف على معنى هذه الكلمة ومدلولاتها الجميلة في أثناء مطالعتي كنت أستعرض أشخاصاً أحاول أن أنزل عليهم معنى هذه الكلمة في حياتنا اليومية وهل يتمثَّل فيهم معنى الوفاء الحقيقي؟

ومع ذكرياتي مع والدي - رحمه الله - لا أنسى بل يعاجلني خاطري كلاماً وينصرف ذهني لرجل عصامي ماجد من أعز أصدقاء أبي ومحبيه، تمثَّلت فيه تلك الصفة بكل معانيها واقعاً مشاهداً لا كلاماً مجرداً، وهو العم الفاضل الوقور محمد بن إبراهيم السبيعي -حفظه الله-، ولا يسعني عندما أتكلم عنه إلا أن أقول تلك الحكاية التي قيلت لبيان معنى الوفاء حينما يتمثَّل الوفاء في شخص ما: «يقال إن الوفاء قصة حكاها شيخ كبير لأحفاده ذات ليلة حتى غلبهم النوم، فواعدهم بإكمالها لهم من الغد! فعاجله الأجل قبل إكمالها لهم، فلم يفهموا معنى الوفاء! وإنما حفظوا منه اسمه فقط، فيا ليتهم عرفوك - يا عم محمد - حتى يعرفوا معناه، متمثلاً في شخصكم النبيل».

ولن أنسى لك يا عم محمد - حفظك الله - مواساتك لنا في والدنا عند وفاته - رحمه الله -، وأسوق ما قاله لنا العم محمد - وهو مثال رائع يضرب للوفاء الحقيقي قلَّ أن تجده، بل يعز وجوده اليوم بين الأصدقاء- حيث قال لنا

العم: إنني نوبت والدكم وأدخلته معي في ثلثي، أي أنه -سلمه الله وحفظه- أشرك أبي في ثواب ثلثه الذي يوصي به الإنسان لنفسه! وفاء له وللصحبة بينهما، فانظر يا رعاك الله إلى هذه الغاية النبيلة من الوفاء الصادق بين الأصدقاء كيف لا ينسى الصديق صديقه حتى بعد الفراق! فهل تجد اليوم من يفعل ذلك إلا الأوفياء الأتقياء، وقليل ما هم!

وما قلته في حقك يا عماه لا يوفي عظيم وفائك، ولكن أسأل الله أن يتقبل منك حسن صنيعك ونيتك، وجميل وفائك وقولك، وأن يجعلك ووالدي من السبعة الذين يظلُّهم الله في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظله، الذين منهم كما قال النبي ﷺ: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه»، كما أسأله جلّ وعلا أن يمد في عمرك على طاعته، وأن يحسن لك الختام، وأن يسعدك وذريتك وذريتنا أجمعين في الدارين إنه جواد كريم.

والحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

ابنك د. فؤاد بن سليمان بن عبدالله الغنيم

إبن عنيزة البار

معالي المحافظ/ مساعد اليحيى السليم

الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي، تلك القلعة الشامخة لا نستطيع أن نراها من زاوية واحدة، بل نحتاج إلى زوايا عدة لنراها كما ينبغي.

ولطبيعة عملي اخترت أن أراه من زاوية عنيزة لعلي أحاول أن أضيء هذه الزاوية ولو بأشعة أجزم أنها لن تضيء هذه الزاوية كما يجب ولكن هي مشاركة تشرّفت بها.

فلقد كان لهذا الشيخ ومسقط رأسه قصة عشق وغرام رغم أنه خرج منها صغيراً لطلب الرزق، إلا أنه كان وفياً لها ولا يغيب عنها رغم انشغاله وكبر سنه.

فقد أنشأ فيها بعض الاستثمارات منذ زمن طويل ولم يكتف بذلك، بل تواصل مع جميع الأعمال الخيرية في مسقط رأسه وعلى جميع الأصعدة؛ فقدَّم الزكوات والصدقات والقروض لتشجيع الجميع على العمل والجدية فيه وجميع ذلك بصمت، ولم يكن يعلم عنه أحد إلا أصحاب الشأن. وأقام له مزرعة ومسكناً فيها بهدف غرس الحب والانتماء للفيحاء في نفوس أبنائه، وتجده يحضر لعنيزة أكثر من مرة كل عام ويصطحب جميع أفراد أسرته ليسأل.. ويزور.. ويفتح منزله للجميع.

وتجد معظم أحاديثه وذكرياته عن «باريس نجد» وتاريخها وأشعارها. واللافت للانتباه أنه لم يقابلني الشيخ محمد في أي مناسبة إلا ويبادر قبل أن

obeikandl.com

أصافحه بترديد بيت الشعر الشفرة بين العنيزاويين «هذي عنيزة ما نبيعه بالزهيد». وبعد أن يثير انتماءك يصافحك وأنت تشعر أنك تحتضن شخصية عنيزاوية أصيلة لم يُنسها المال والجاه والمكانة المرموقة على مستوى الوطن معشوقته «باريس نجد»، فبحق عندما تتأمل مسيرة هذه القلعة تجد أن شعاع زاوية عنيزة يشع من جميع أركانها وزواياها، إنه الحب والعشق بين الشيخ محمد السبيعي والفيحاء.

ومن دواعي سروري وسعادتي أن تُسجل مسيرة هذا الرجل ليقرأها شباب الوطن ويطلعوا على كفاح أخوي بين رجلين هما الشيخ محمد ورفيق دربه الشيخ عبدالله بن إبراهيم السبعي اللذين صنعا معاً نموذجاً للعلاقة الأخوية المثالية ونجاحاً تجارياً على مستوى الوطن.

ما أصعب أن تكتب عن مثل شيخنا ولكن هي إضاءات ولمحات يشوبها النقص، ولعل ما نعد له مع أهالي عنيزة لتقدير هذه القلعة الشامخة يكون شافعاً لنا عن النقص والتقصير ومعبِّراً عن حب وعشق عنيزة له حفظه الله ورعاه وسدَّد خطاه وأطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية.

مساعد اليحيى السليم

محافظ عنيزة المكلَّف

أخلاق سامية وكرم نبيل

صالح بن عبدالله العماش

الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي عطوف ذو خلق كريم، لا يبخل بجاهه ولو أتيته في منتصف الليل وأنت في حاجة إلى مساعدته، أو لديك مريض يحتاج إلى العلاج يبذل كل ما يستطيع من جهد مع كل من يستطيع أن يصل إليه ليشفع لك بخدمة كالعلاج أو الحصول على عمل أو دخول أي مجال من مجالات الحياة الكريمة، ويبذل لك النصح والتوجيه، وبيته ومكتبه مفتوحان لكل قاصد، ويستقبلك أوقات وجوده، ولديه وليمتان كل أسبوع يوم الجمعة الغداء لكل الأقارب ومَن يقصده.. ومساء السبت للجيران ومَن يقصده، ومن طبعه التواضع وحسن معاشرة الصغير والكبير والغني والفقير والتودد إلى الناس، اجتماعي من الدرجة الأولى الخالصة، وإذا جلست معه فإنك لا تشعر بأنه ذو غنى، إذا عرف أنك دعوت أحد أصدقائه ولم تدعه يفاجئك بحضوره بدون مقدمات، يحب الدعابة والمرح وسماع القصص الشعبية، ويقول الشعر ويحب سماعه ويحب السامري والعرضة وكثيراً من الأشعار الشعبية والقديمة.

وعندما يسمع بموت أحد معارفه أو معارف أصحابه يحضر للصلاة عليه ويذهب معه للمقبرة رغم أنه لا يستطيع الاستمرار بالوقوف طويلاً، ويصر على إرسال الطعام لأهل الميت ويحضر ويجلس معهم للتعزية رغم المشقة.

وفي إحدى المرات كنت حاضراً عنده، إذ حضر الشيخ سليمان الغنيم

obeikandi.com

وهو من أعز الناس على نفسه وكان ضعيف الجسم نظراً لكبر سنه رحمه الله، قال له: «إنا سنذهب لفلان في بعض المناسبات هل تذهب معنا يا أبا عبدالله، قال: ليتني أقوى نفسي مثلك»، وفي بعض الأحيان يضغط على نفسه ليؤدي الواجب، وهذا قليل من كثير من الأعمال الإنسانية التي يتصف بها ولا يعرفها عنه الكثيرون، يريد للناس كلهم الخير ومبدؤه (ربِّ ارزقني وارزق مني) ويقول يجب على المرء أن يكدح ويعمل ليل نهار بجد وإخلاص وأمانة، ولا ينتظر المال والنفوذ والجاه ليأتيه إلى غرفة نومه كما يفعل كثير من الشباب اليوم.

صالح بن عبدالله العماش
ابن خاله وعمل معه سنوات طويلة

obeikandl.com

«كلك وصل ووفاء»

جواهر بنت محمد بن صالح بن سلطان

لطالما سمعت والدي - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - يردد عبارة «وصلك الله يا أبا إبراهيم فكلك وصل ووفاء» خلال اتصالاته الهاتفية مع العم الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي.. علم في عالم المال والأعمال.. رجل عصامي عُرف بأمانته وصدقه والتزامه بدينه وحبه لوطنه!! ولعل العلامة الفارقة في شيخنا الفاضل والتي عرفتها ولمستها في شخصيته المميزة الجانب الإنساني.

فلقد حالفني الحظ بحكم قربي من والدي - رحمه الله - باكتساب بعض الخبرات العملية والاجتماعية، ولعل أغلى وأثمن تلك الخبرات معرفتي- من خلاله - بأقرب أصدقائه ومنهم، بل أقربهم إلى نفسه العم الشيخ محمد السبيعي. ولقد تعلّمت من علاقات وأخلاقيات وتعامل هؤلاء الرجال العظماء التي تتسم بالتلقائية وحسن الظن والبساطة وعدم التكلُّف، وتقوم على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، المعاني العميقة لبعض المفردات اللغوية التي نكررها في حياتنا اليومية.

والشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي يُزين الحديث.. بل الحديث يزهو به.. إذا ذكرت أنه - حفظه الله - ضرب مثلاً رائعاً في الصداقة الصادقة مع والدي - رحمه الله - فلقد رأيت معاني الأخوة والإيثار والوفاء تتجسَّد فعلاً وسلوكاً في المعاملات الشخصية والتجارية بين صديقين متميِّزين أنعم الله عليهما بفضله وواسع رزقه وما زادهما ذلك إلا ترابطاً وتواضعاً وحمداً لله وشكراً. فالكلمة بينهما عقد والتزام، ومشاعر المحبة والصداقة الصادقة سلوك وفعل يتجاوز الحدود والمسافات.. فتجد العم الشيخ محمد السبيعي في تواصل مستمر مع الوالد - رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى- أينما كان بالاتصال أو الحضور

أو تكبد مشاق السفر وبعده وتخطي البحار والمحيطات للاطمئنان وزيارة صديق عمره في رحلاته العلاجية، ولعله لا ينسى اصطحاب هديته المعتبرة من الرطب الطيِّب الذي يظل يتغنى ويصف لوالدي - رحمه الله - طيب نوعه ولونه وشكله قبل أن يغادر الرياض، ثم تصادر هديته في مطار بوسطن، ويبقى هذا الموقف ذكرى طريفة يسترجعانها بين حين وآخر.

«فكلك وصل ووفاء» عبارة تجسد عمق معناها في امتداد وصل ووفاء الصديق للصديق - بعد وفاته وانتقاله إلى رحمة ربه - فشيخنا حفظه الله وأمد في عمره - يبادر بالسؤال عنا والاطمئنان - وهو الأحق بذلك - ويحرص رغم مشاغله وظروفه الصحية على المشاركة وحضور كل مناسبة تتعلَّق بالأنشطة الخيرية الخاصة بالوالد - رحمه الله - كما يدعو ويستقبل في منزله بكرم ضيافة وتواضع وفرحة تنير وجهه الأبوي الحنون وكأنه يرى صديقه فينا وبيننا. وتستمر ملحمة الوفاء مع شيخنا الفاضل عندما يؤكِّد بعطف صادق على أنه محل الوالد - رحمه الله - ويطالبنا، بل يأمرنا بالرجوع إليه فيما يصعب من أمورنا. ولا يتوقف وفاء هذا الرجل عند هذا الحد وإنما يوصي ورثته - أمد الله في عمره - بالصدقة عن والدي وعن كل من مات في حياته من أصدقائه!!

هذا الشيخ الجليل بهيبته ومكانته وتلقائية مشاعره وسلوكه واحتوائه الأبوي يمثِّل جيله من الفرسان الذين يرون أن الدين «المعاملة» اقتداءً برسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين.. جيل ظننت برحيل بعض رجاله أنه انتهى أو أوشك على الانتهاء، ولكنني حين رأيت ذلك الجيل يتجسد - بفضل الله - في سلوك أبنائهم وأحفادهم من بعدهم أيقنت أن الأرض الطيِّبة لا تنتج إلا ثمراً طيِّباً راسخ الجذور متجدد العطاء جيلاً بعد جيل رغم اختلاف ظروف الزمان

وطبيعة الحياة.

حفظ الله لنا والدنا وشيخنا العم محمد السبيعي وأطال في عمره، ووصله بعفوه وجنته ولعلي أردد مقولة والدي «فكلك يا أبا إبراهيم وصل ووفاء».

ابنتكم/ جواهر بنت محمد بن صالح بن سلطان

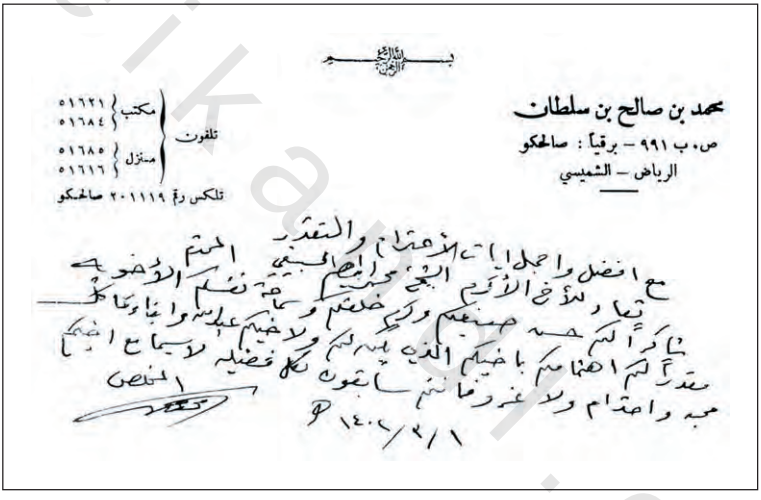
محمد بن صالح بن سلطان
ص.ب ٩٩١ – برقياً : صالحكو
الرياض – الشميسي
تلفون مكتب ٥١٦٢١ ٥١٦٨٤ منزل ٥١٦٨٥ ٥١٦٦٦
تلكس رقم ٢٠١١١٩ صالحكو

صورة ضوئية لخطاب أخوي كتبه الشيخ/ محمد بن سلطان -رحمه الله-
إلى الشيخ محمد السبيعي عام ١٤٠٢هـ

نعم الصديق والشريك

علي بن عبدالعزيز الريس

سعدت كثيراً بصدور هذا الكتاب الذي يضم بين ثناياه سيرة أحد الرجال المشهود لهم بالفضل والمكانة البارزة في مجتمعنا السعودي.

لقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي -أطال الله في عمره- أحد النماذج المشرّفة في المجتمع السعودي بما عُرف عنه من الفضائل، وبما تميَّز به شخصه وسلوكه من سمات وصفات جعلت منه الرجل الصادق والوفي والكريم.. بشهادتي وشهادة عارفيه ومحبيه، وشهادة المواقف التي وقفها مع الجميع..

كان الشيخ محمد بن إبراهيم السبيعي من أقدم أصدقائي ورفيق عمري، تعرَّفت عليه في عام ١٣٦٣هـ في مكة المكرمة، وبالتحديد في سوق الجودرية التجاري الذي كان معروفاً فيه في ذلك الوقت.

عملت معه في التجارة ثم أصبحنا شريكين، وكان نعم الشريك والأستاذ الذي يتمتع بحسن الرأي والمشورة.. ولقد استمرت صداقتي به إلى الآن..

أشكر من قام على إعداد هذا الكتاب والسجل عن الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم السبيعي -أطال الله في عمره- ليكون شاهداً على شخصه، والذي سيجد فيه كل محب له ما كان يود أن يحتفظ به عنه، ويبقيه رمزاً لصفات حميدة عاصرها رجل فذ في مجتمعه.

والله ولي التوفيق.

علي بن عبدالعزيز الريس

obeikandl.com

حياة السبيعي.. مدرسة لرجال الأعمال

خالد بن عبدالعزيز المقرن

الحديث عن الأوفياء، وعن الأعلام كثيراً ما يكون صعباً لأنك تتحدث عن أعلام يصعب أن توفيهم حقهم، فرحم الله جدي ووالدي وأطال الله بعمر والدنا الشيخ محمد السبيعي، فهم أعلام بأخلاقهم وتعاملهم وبتجارتهم التي بنيت على المحبة والنقاء والبعد عن البغضاء، ولنا أن نفتخر كشباب بمثل هذه النماذج التي أسست للعمل التجاري والاقتصادي في بدايات النهضة الاقتصادية في بلادنا، ومما لا شك فيه أن كثيراً من المعالم الاقتصادية الحديثة في بلادنا إنما تنطلق في أساسها من جذور أصيلة غرسها الجيل الأول من رجال الأعمال في بلادنا.

إن الحديث عن شخصية بحجم الشيخ محمد السبيعي، ليس بالأمر السهل، فالحديث لن يكون محصوراً في جانب واحد، فهناك الكثير من الشمائل والصفات التي يتميز بها والدنا الشيخ محمد السبيعي، فإذا ما تحدثنا عن الجانب التربوي فهو مربٍ فاضل بنصائحه وتوجيهاته، فقد اعتدنا منه على النصائح والتوجيهات التي تتسم بالحكمة وبعد النظر وعمق التجربة الحياتية.

وإنني أقدر كثيراً حرصه على الكثير من النصائح الأبوية التي نتشرف بسماعها دائماً منه، ولا سيما في أثناء عملنا على تأسيس بنك البلاد، فهو يعتبرنا جميعاً أبناءه؛ ولهذا كثيراً ما نلمس مدى صدق تلك التوجيهات التي لم تأت من فراغ، بل من حياة ملأى بالتجارب والأحداث التي عاشها والدنا الشيخ محمد، وسجل خلالها صفحات مشرقة بالنجاح والكفاح، فهو رجل عصامي متفائل، يزن الأمور بدقة وروية، وهذه الصفات الحميدة تتجلّى في تجربته

الثرية في مجال التجارة التي عاصره منذ نعومة أظافره.

وأما الحديث عن المجال الخيري وما يقدمه من بذل في أوجه الخير، فهو علامة بارزة في مسيرته، فهو من أشد الناس حرصاً على المساهمة في أوجه الخير وله إسهامات كبيرة في صفحات العمل الخيري في بلادنا، إضافة إلى حرصه على إيجاد جمعية خيرية خاصة بعائلته يتم من خلالها تنظيم العمل الخيري الذي يحرص عليه وأخيه الشيخ عبدالله.

إن علاقة جدي ووالدي بالشيخ محمد علاقة جيل شامخ من رجال لم تفرقهم منافسة التجار؛ لأنهم عملوا حقيقة المنافسة الشريفة التي لا تتعارض مع الأخوة ومع الفطرة السليمة، وكثيراً ما كنا نسمع عن وقوف بعضهم مع بعض في الظروف الصعبة، فقد جمعتهم رفقة الطريق في الأسفار والمبيت في الغربة في أثناء أسفارهم التجارية، تقاسموا لقمة الخبز وكأس الماء، جمعتهم مجالس الذكر ولم تشغلهم تجارتهم عن تفقد أحوال بعضهم بعضاً، إنهم جيل من الوفاء والمحبة، وهذا ما سمعته بنفسي من والدي ومن الشيخ محمد.

فتلك النفوس النقية لم يغيرها حب المال وكثرته فبقوا كما عرفهم مجتمعهم الذي أحبهم وأحبوه، أوفياء أمناء يراقبون الله في كل أعمالهم، يبتعدون عن الشبهات مهما كانت أرباحها المادية، حريصون أن يبنوا تجارتهم بأيديهم وبعرق جبينهم، نقية عن كل ما قد يشوبها، متطلعين إلى طموح مشرق يكتسي بياض النقاء، محاط بأفعال الخير التي آمنوا بأنها جزء من بركة المال، فكان للفقراء والمساكين حضورهم الدائم في حسبة أموالهم، إن حبل الخير والعطاء الذي مدوه لم ينقطع على مر السنين، وها نحن وحتى اليوم نسمع ونشاهد صوراً متعددة من صور البذل والعطاء التي تعكس لنا

المعدن الأصيل لأولئك الرجال الذي استوعبه حتى الأبناء ليقتفوا أثر ذلك الطريق الخيّر.

إن المتأني في قراءة قصص البدايات لآبائنا في عالم التجارة ومنهم والدنا الشيخ محمد يقف كثيراً أمام العديد من المواقف المشِّرفة التي تتجاوز مسألة البيع والشراء كمفهوم اقتصادي إلى ما هو أبعد من ذلك من الشراكة التي دامت بالقليل ولم يخدشها الكثير حينما توسعت الأرزاق، دامت كونها نابعة من قلوب صافية تحب لغيرها ما تحب لنفسها.

ورغم بساطة البدايات إلا أنها كبرت بأفعالهم وتوسعت ولم يكن سهلاً، فقد تكبدوا الكثير من المشاق والتعب، لكن إصرار وعزيمة الرجال والإخلاص كانت المعين لهم بعد الله سبحانه وتعالى، إننا أمام شخصيات مكافحة غرست بأيديها الأشجار المثمرة وسقتها بعرق الجبين.

فمن محال الديرة القديمة بالرياض ودكاكينها الصغيرة إلى تحقيق حلم ضارب في ذاكرة الآباء، إنه بنك البلاد الذي كان ذات يوم حلماً ليس لوالدي - رحمه الله - فحسب بل إلى عدد من رفاقه وأحبائه في حياته وأولهم الشيخ محمد السبيعي والشيخ عبدالله السبيعي، إنني أرى فيهم أحد أهم أركان هذا الصرح المصرفي الذي ولدت فكرته قبل نحو نصف قرن.

إن رجالاً بحجم الشيخ محمد السبيعي يمثلون مدرسة عريقة في العمل التجاري، وهم يستحقون أن تؤخذ تجاربهم كأحد المراحل التاريخية للعمل الاقتصادي لبلادنا في العصر الحديث، فهم من عاصر شح الموارد وصعوبة المواصلات، فقد سمعنا منهم كيف كانوا يبعثون إرسالياتهم المالية من مكان إلى آخر ليس بضمان بنكي ولا أوراق ثبوتية، بل بالثقة وحدها والأمانة وقبل

ذلك بالتوكل على الله تعالى.

يحق لنا أن نفخر بمثل هذه الشخصيات، ليس بنجاحهم في عالم المال والأعمال فحسب، بل حتى في سيرة العطاء والبذل التي رسموها، وها نحن أبناءهم نطمح في أن نصل ونواصل ولو جزءاً بسيطاً مما بنوه لنا جميعاً غير أنني أراه ليس سهلاً.

خالد بن عبدالعزيز المقيرن

obeikandl.com